

وبعض من الازدراء للتراث نابع من جهل به ؛ وفقدان الاتصال معه بشكل صحي، فهو يمثل لبعض ذوي المواهب المحدودة ، تحديا صارخا لا يواجهونه الا بالتجاهل والعداء .. إن شاعراً يعد نفسه للمستقبل ، ويرى نفسه جزءاً من مسيرة التاريخ الشعري لا بد له ان يراجع تراثه ويتصل به متعرفا ومتعلما ومستفيدا .

لكن كثيرا من شعرائنا لا يمثل التراث بالنسبة اليهم الا ركاما من الاشياء المخزونة في مستودع ، او المعروضات المزدحمة في سوق ، يسارعون لانتقاء ما يحتاجون اليه منها بين آن واخر. وهذه النظرة تضع الشاعر وهو يقرأ تراثه. في سياق الذوق العام احيانا. فيجد الشاعر من ينوب عنه في قراءته للتراث، مستعينا بمختارات قديمة أو مدرسية في اغلب الاحيان .

إن الشعر الخالد الذي يستحق الفرادة (والتقديم فيما بعد) هو الذي يلبي للشاعر المعاصر حاجة العثور على جذره وامتداده عبر التاريخ . علما بأن كثيرا من الشعر الذي يخلد ويروى ، لا يستمد قيمته من جودته .. يقول أ. أرتشاردز (ولكن الظروف التي تحدد بقاء الشعر ربما لا يكون لها أدنى علاقة بقيمة هذا الشعر في بعض الأحيان . كما ان من الأعمال الشعرية ذات القيمة الكبرى ما يقضى عليه بالفناء غالبا لهذا السبب ذاته . فهو لا يطبع ولا يقرأه أو يستمع اليه أحد ... كما ان السبب في ظهور بعض القصائد الأثيرة في كتب المختارات الشعرية ما تتميز به من رداءة) (٤٩) ويمثل رتشاردز بنماذج من شعر شبلي وتيسون وسواهما ، يرى انها نالت (الشهرة المباشرة) دون أن تثير إعجاب (الأجيال التالية) . فما يسميه رتشاردز (تجانس الدوافع) في العمل ؛ قد تمنح ذلك النص تأثيراً عابراً ، كبيراً في حجمه ، لكنها لا تمنحه قدرة ان يعمر طويلا . ويعطينا ناقد آخر هو بيلنسكي مثالا محددا لعمل عظيم لم يجد فيه النقد الحالي الا الضعف والقدم ، فرواية بوشكين الشعرية (يفيني أو نفين) ذات جدارة جمالية ، تعكس حياة بوشكين وروحه ووجهه ؛ لذا - وبرغم الرأي النقدي السائد - تظل ذات اهمية تاريخية واجتماعية كبيرة . (٥٠)

وهذه الأمثلة توضح الفاصل الذي يخلقه اختلاف الدوافع والقيم ، مما يشكل الأذواق خلال فترة محددة من الزمن .